محاضرات مقياس التفكير الدلالي:

ملخص المقياس:

يهدف هذا المقياس محاولة تلمّس الأسس المنهجية التّي أصّل بها الباحث الياباني "توشيهيكو إيزوتسو" لعلم دلالة القرآن، وكيف تتبّع برؤية وصفية التّغيّر الجذري للبنية المفهومية الشّاملة للمعجم العربي بإجراء مقارنة تحليلية بين النّظام الجاهلي والنّظام القرآني كاشفا عن نتائج دقيقة تفسّر بعلميّة وموضوعيّة الرّؤية الجديدة التّي صاغها القرآن الكريم لعصره ولعصرنا، فخلص إلى أنّ التّحليل الدلالي يسعى لأن يكون علما للثقافة إذا أردنا تصنيفه لأنّه تحليل يعيننا على تنظيم مجمل لبنية الثقافة كما تعاش في الواقع، وقد بحث هذا من خلال الرّؤية الدلالية للعالم الخاصة بثقافة القرآن الكريم، في كتابه "الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم".

الكلمات المفتاحيّة: علم دلالة القرآن، المعجم القرآني، السّياق القرآني، الكلمات المفتاحية، الرّؤية القرآنية للعالم.

محاضرات الأسبوع الأول:

1. ماهية الكتاب وأهدافه:

كتاب الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم:

- **قدّم فيه الباحث الياباني "توشيهيكو إيزوتسو" منهجية دلالية جديدة في تحليل الأنظمة اللّغوية والثقافية بشكل عام، وتحليل نظام القرآن الكريم وسياقه بشكل خاص,**
- **قسّمه على تسعة فصول، بيّن فيها حدود المنهج الدلالي في جانبيه التنظيري والتطبيقي، بعدّه واحدا من أهم مباحث علم اللغة الحديث، وأهم ما توصّل إلى هو كيفية تبنين الرؤية القرآنية للعالم، أو ما أسماه بالبنية الأساسية للرؤية القرآنية للعالم**
- **غاية الكتاب تتجلى في تقديم فهم جدّي ورصين لماهية علم الدلالة وأساسياته من منظوره الخاص، في مقابل الدراسات الدلالية السريعة التي ركّزت على الجانب النظري دون التطبيق والممارسة العميقة، وقد توجّه إلى القرآن الكريم بوصفه مادة لغوية ليبيّن "علم دلالة القرآن"**
- **يعلّمنا كيف نتطلّع بنظرة إيجابية وعلمية إلى المناهج الغربية بوعي يتيح للباحث إمكانية تعديلها وتطويرها لتتناسب مع بحوثه وأهدافها ، كما فعل**
- **كما يمنح الكتاب فرصة، إعادة اكتشاف القرآن الكريم وكأننا نتعامل معه للمرّة الأولى، من أجل المضيّ نحو مشروع فهم أفضل لرسالة القرآن الكريم لعصره ولنا,**

- **إنّ الأمل الذي كان يحدو الباحث "إيزوتسو" هو هو تقديم خطوة جادة لفهم القرآن الكريم ونظامه المفهومي ورؤيته للعالم ورسالته للبشرية**

2. نبذة عن الباحث الياباني "توشيهيكو إيزوتسو":

- *يعدّ الياباني "توشيهيكو إيزوتسو" (1914-1993) من العلماء الذين ذاع صيتهم في دراسات اللغة والفلسفة خصوصا المتعلّقة بالدراسات العربية والإسلامية،
- حيث وضع لبنة معرفية يستفيد منها الباحثون المتخصصون في هذا المجال بالأخص في طوكيو وكندا وإيران إذ عمل في معاهدها، وبالإضافة إلى بحثه المنهج في عديد الأديان،
- لقد صوّب الرؤية العلمية الموضوعية أيضا على القرآن الكريم وتعمّق في الكشف عن النظام الثقافي للعرب في العصر الجاهلي وفي القرآن الكريم من خلال التتبّع التّاريخي لحياة العرب قبل وفي الإسلام،
- وضع دراسة دلالية هامة يُستفاد منها للبحث في القرآن الكريم، وذلك في كتابه الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم،
- كما ترك العديد من المؤلّفات منها: المفهومات الأخلاقية- الدينية في القرآن، مفهوم الإيمان في علم الكلام الإسلامي؛ تحليل دلالي للإيمان والإسلام، مفهوم وحقيقة الوجود، وغيرها.

3. علم الدلالة والقرآن:

»التّحليل الدّلالي حسب "إيزوتسو" ليس مجرّد تحليل بسيط للبنية الشّكلية لكلمة ما بدراسة أصلها أو تاريخها، إنّما التّحليل الدّلالي يعزم الذّهاب بعيدا وراء ذلك ويسعى لأن يكون علما للثّقافة إذا أردنا تصنيفه؛ فهو تحليل يُعيننا على تنظيم مجمل لبنية الثّقافة كما عيشت أو كما تُعاش في الواقع ما دامت القضيّة قائمة في تصوّر النّاس، وقد بحث في هذا من خلال مفهوم "الرّؤية الدّلالية للعالم" الخاصّة بثقافة ما؛ «

أ. علم الدلالة من منظور إيزوتسو:

إنّ علم الدّلالة لدى الباحث نوع من علم الرّؤية للعالم أو دراسة لطبيعة رؤية العالم وبِنيتها لأمّة ما في مرحلة من مراحلها التّاريخية، وهي دراسة تستهدي بوسائل التّحليل المنهجي للمفاهيم الثّقافية التّي أنتجتها الأمّة لنفسها وتبلورت في المفاهيم المفتاحيّة للغتها،

ومن ثمّ يكون علم الدّلالة بالنّسبة إليه: "دراسة تحليليّة للمصطلحات المفتاحيّة الخاصّة بلغة ما تتطلّع في النّهاية لإدراك مفهومي لـ "الرؤية للعالم" الخاصة بالنّاس الذّين يستخدمون تلك اللّغة كأداة ليس للكلام والتفكير فحسب، بل الأهم، كأداة لمفهمة العالم الذي يُحيط بهم وتفسيره

ب. علم دلالة القرآن:

لقد صرّح بأنّ دراسته تُعدّ إسهاما جديدا من أجل فهم أفضل لرسالة القرآن لعصره ولنا، بتطبيق منهج التّحليل الدّلالي لمادة لغوية مستمدّة من المعجم القرآني،

ليكون مصطلح "علم دلالة القرآن" دالا على تحليل دلالي للمفاهيم الكبرى المهمّة الموجودة في القرآن التّي تهدف إلى الوصول إلى فهم التّحوّل الفكريّ والثّقافيّ الذّي أحدثه نزوله في البيئة الجاهليّة، والنّظرة الجديدة التّي صاغها للعرب في رؤيتهم للكون، وكيفية تبنين عالم الوجود، ومكوّنات العالم وكيف تتعالق فيما بينها،

فهو بذلك نوع من الأنطولوجيا الحيّة والبحث في الوجود كما تعكسه آي القرآن، وهو المفهوم الذّي بحث عنه في "علم دلالة الرؤية القرآنيّة للعالم" بالتّركيز على العلاقات الأساسيّة الموجودة بين "الله والإنسان في القرآن".

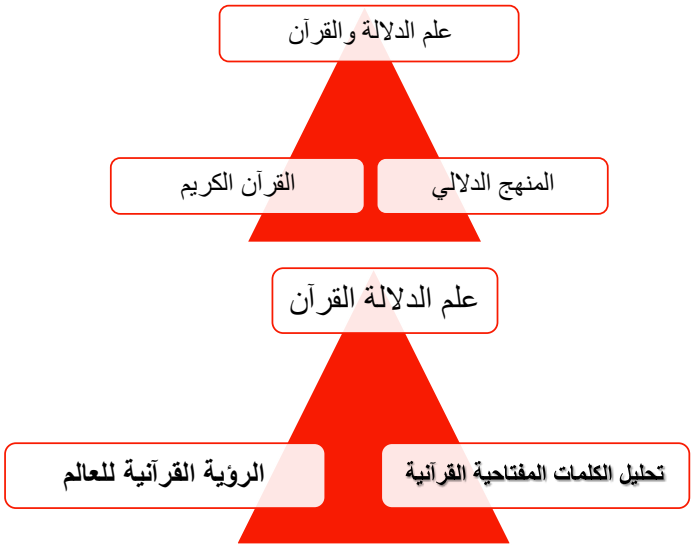

4. توحيد المفاهيم المستقلة:

أ. الكلمات المفتاحية والمعجم القرآني:

- أكّد الباحث أنّ إدراك الرؤية القرآنيّة للعالم يكون بدراسة الكلمات المفتاحيّة الخاصة بمعجم القرآن الكريم،
- وهذا الأخير، أي المعجم القرآني، يُعدّ منظومة مفهوميّة شديدة الرّابط والتّنظيم تأخذ فيه كلّ كلمة موقعها بدقّة بحيث يصعب فهمها دون ربطها بغيرها من الكلمات وبالشّبكة المفهوميّة الكليّة التّي تنتمي إليها سواء صغر حجمها أم كبر، وعلاقة هذه الشّبكات فيما بينها لتركّب في النهاية كلاّ موحّدا،
- فمن خلاله يتم تحديد الكلمات المفتاحيّة؛ أي من خلال النّظام المفهومي الذّي يعمل في القرآن لا المفهومات المستقلّة الفردية منظورا إليها بعيدا عن البِنية العامة،
- **إذ يقول:** "فهذه الكلمات أو المفاهيم لا توجد هكذا ببساطة في القرآن، بحيث تكون كلّ منها معزولة عن الأخرى، بل يتوافق بعضها ببعض بإحكام، وتستمدّ معانيها العيانيّة من نظام العلاقات المحكم بينها... وهذا النّوع من النّظام المفهومي الذّي يشتغل في القرآن هو المهمّ حقا بالنّسبة إلى هدفنا الخاص، فذلك أكثر أهميّة من المفاهيم المستقلّة التّي تُؤخذ هكذا منعزلة."
- فالكلمات في المعجم القرآني لا تأخذ نفس القيم الدّلالية بالنّظر إلى الحقل الذّي تنتمي إليه، فقد نجد "كلمة مفتاحية" في حقل، كما قد نجدها كلمة مركزا" في حقل آخر: تأخذ أهمّية استثنائية حيث تحمل تكثيفا في الدّلالة أكثر من الأولى
- كما يبيّن الباحث أنّ الدراسة الدّلالية للقرآن الكريم هي دراسة تحليلية للمفاهيم المهمة التي تُساهم في تشييد البنية المفهومية العامة للرؤية القرآنية للعالم،
- فهي ليست مجرد تحليل آلي للمصطلحات التي وُجدت في المعجم القرآني من حيث هي وحدات دلالية مستقلة، بل دراستها بشكل ترابطي نظامي حسب السياق القرآني الذي وردت فيه باعتبار هذه الوحدات -التي تشكّل بترابطها النظام المفهومي الذي يُعتبر مفتاحا لفهم معانيها- هي التي تحدد لنا البناء الداخلي للمعجم القرآني ومن ثم صياغة رؤية قرآنية شاملة للعالم.

مثال كلمة "الله":

- إنّ تصميم الوجود قد تغيّر منذ أصبح "الله" هو مركز بِنية الرؤية للكون حينما تمّ إخراج الكلمات من سياقها القديم وأعيد توزيعها ضمن سياق جديد تأخذ فيه مواقعها وترتبط بعلاقات صميمية تختلف كلّيا عن تصوّر العرب قبلًا،

- إنّ العمل السياقي الجديد الذي يشتغل في النظام القرآني قائم عل ما اسماه الباحث بـ"توحيد المفاهيم المستقلة"؛ أي أنّ الكلمات في السياق القرآني لا توجد معزولة عن بعضها البعض بل تأخذ معانيها من نظام العلاقات،

- على هذا الأساس لا ينبغي للمشتغل في التحليل الدلالي للكلمات القرآنية أن يقع في خطأ البحث عن الكلمة في ذاتها، بل كلّ الآراء تتفّق على أنّ الأساس المنهجي هو البحث عن المفاهيم القرآنية ضمن بنيته الثقافية، ووفق منهج نظامه المفهومي.

- كما أنّ التّغيير الجذري الذّي أحدثه القرآن الكريم في مفاهيم الكلمات التّي تداولت في العصر الجاهلي حدث بدمجها في منظومة مفهوميّة جديدة لها تركيبها الخاص وحقلها المركزي الخاص،

- لأنّ الكلمات القرآنيّة قد استعملت في النّظام الجاهلي لكن بصيغة تختلف عن الصّيغة الجديدة حيث دمجها القرآن في السياق الفكري المغاير، فخلق بذلك أفقه المعرفي مغيّرا في رؤية العرب للعالم وللوجود الإنساني، وذلك عندما بدأ الوحي الإسلامي باستعمال هذه الكلمات في سياق دينيّ جديد صدم المكيين المشركين لكونه غريبا غير مألوف،

- "ومن وجهة نظر المختص بعلم الدّلالة الذّي يهتم بتتبّع تاريخ الأفكار، فإنّ هذا، وليس شيئا آخر هو ما أعطى الرؤية القرآنيّة للعالم هذا الطّابع المميّز الواضح جدا"،

- إضافة إلى تأثير السّياق في معاني الكلمات؛ إذ القيمة الدّلالية للكلمة تؤخذ من السّياق الذّي ترد فيه، وكذلك السّياق القرآني الذّي اقتلع المفاهيم من تراكيبها الجاهليّة التّقليدية ودمجها في سياق جديد يختلف كلّيا عن سابقه، وهو ما أحدث تغييرات عميقة في ترتيب المنظومة المفهوميّة الكبرى التّي تحكم المعجم القرآني،

- ومن الأمثلة التّي دلّل بها الباحث على حجّته لفظ الجلالة "الله"؛ فقد كان معروفا مقبولا في الفكر الجاهلي، يظهر في الأشعار وأسماء الأعلام المركّبة والنّقوش القديمة، وكان يمثّل إلها في أعلى تراتبيّة الآلهة (ربّ البيت) فكانت الآلهة بمثابة وسطاء بين هذا الإله الأسمى وبين البشر، ومع ذلك لم ينل اهتماما مركزيا بل كان واحدا من بين الآلهة فحسب.

5. المعنى الأساسي والمعنى العلاقي:

- إنّ "المعنى الأساسي"، وفق منهجية الباحث، هو المركز التي ينمو حوله "المعنى العلاقي"، هذا الأخير بدوره يستمد علاقاته الدلالية من السياق القرآني؛ لأنّ معاني الكلمات)تتحدّد كما تتحدّد قيمتها في غمرة الكلمات الأخرى المخالفة لها والمجاورة، وهي بلا شك تمثّل اللبنات التي تبني نظام اللغة

القرآنية والنافذة التي من خلالها تطلّ على مقامه وثقافته، حيث تكتسي الكلمات معانيها وفق رؤية القرآن للعالم لنجد أنّ "المعنى العلاقي" ينمو مباشرة حول "المعنى الأساسي"،

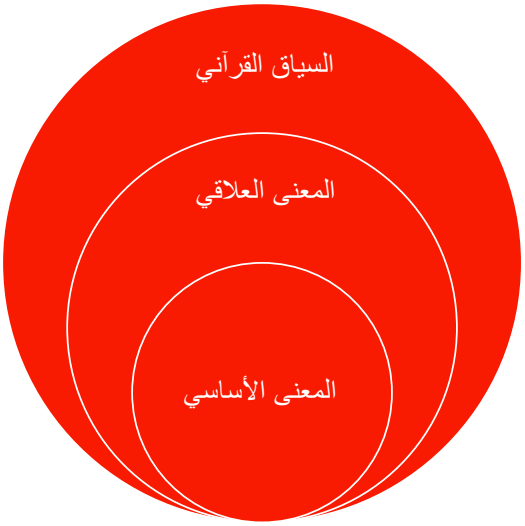

مثال كلمة "الله":

- ما أحدثه القرآن كان إعادة التنظيم الكونية للمفاهيم، وإعادة توزيع القيم التّي جاءت بها تعاليم الإسلام التّي بدّلت بشكل جذري تصوّر العرب للعالم،
- ما جعل اسم "الله" يدلّ على المطلق في سموّه وانحطّت دلالة "الشّركاء و"الآلهة" إلى مؤلة "الباطل" نقيض "الحق" فأثّر ذلك التّحوّل في بنية الرؤية للكون وفي النظام المفهومي ككل، ذلك أنّ نظاما يحتل مركزه "إله واحد" قد تأسّس للمرة الأولى في تاريخ العرب، مصدرا متفرّدا للكينونة والوجود.
- ومن خلال الاستعمال السّياقي للمصطلح نلاحظ أنّ المعنى الأساسي للكلمات لم يتغيّر بل تغيّر التّصميم العام والنّظام العام، حيث تجد المصطلحات مواقع جديدة في النّظام الجديد.

مثال كلمة "التقوى":

- فكلمة "تقوى" على سبيل المثال معناها الأصلي في الجاهلية هو الموقف الدّفاعي عن النّفس الذّي يتّخذه الكائن الحيّ حيوانا أم إنسانا تجاه قوّة مهدّدة تأتي من الخارج،

- فأدخلت هذه الكلمة في النّظام الإسلامي للمفاهيم حاملة معناها الأساسي نفسه لكنّها وبتأثير النّظام ككل أدخلت في حقل دلالي خاص يتألف من مجموعة من المفاهيم التي ترتبط بـ"الإيمان" الذّي غيّره "التّوحيد"

- فصارت ذات معنى ديني له أهمية فائقة، لقد صارت "التّقوى" في النّهاية: الورع الذّاتي الخالص المجرّد، دالة على الخشية من العقاب الإلهي يوم القيامة.

- بهذا، أصبحت كلّ الأشياء الموجودة والقيم رهنا بإعادة تنظيم كاملة وتوزيع جديد؛ أي إعادة تنظيم الأنظمة المفهوميّة وترتيبها، حيث أخذت كلّ واحدة موقعا جديدا، وارتبطت بعلاقات جديدة فيما بينها.

6. المعجم ورؤية العالم:

أ. المعجم في الدرس الدلالي الحديث:

- ربما اعتدنا النّظر إلى المعجم على أنّه: الكم الهائل من المفردات التي تحمل عديد المعاني، ترتّب تحت بعضها البعض بعيدا عن أيّ نوع من العلاقات،

- بيد أنّ الدراسة الدلالية الرّاهنة تقدّم رؤية منهجية مختلفة للمعجم، بوصفه التعبير الاجتماعي للتصوّرات والمجالات المعرفية والأبعاد الفكرية، مادام لكلّ مجتمع لغته وثقافته ونظرته للعالم.

- من هذا المُعطى يعدّ "المعجم": العلاقة الأُنطولوجية بين اللغة والعالم الذي تحيا فيه وتستسقي منه ثقافتها ومعانيها ومجالاتها وكينونتها، وبالتالي نجده يُمثّل صلة الوصل بينهما، لأنّه الفضاء اللغوي الذي يربط الدّاخل بالخارج، ويشكّل جسر عبور لفهم رؤية العالم المتعلّقة بمجتمع لغوي معيّن.

ب. كيف تتشكل الرؤية الدلالية للعالم؟

- يبيّن الباحث أنّ الدراسة الدّلالية للقرآن الكريم هي دراسة تحليلية للمفاهيم المهمة التي تُساهم في تشييد البنية المفهومية العامة للرؤية القرآنية للعالم، فهي ليست مجرد تحليل آلي للمصطلحات التي وُجدت في المعجم القرآني من حيث هي وحدات دلالية مستقلة،

- بل دراستها بشكل ترابطي نظامي حسب السياق القرآني الذي وردت فيه باعتبار هذه الوحدات - التي تشكّل بترابطها النظام المفهومي الذي يُعتبر مفتاحا لفهم معانيها- هي التي تحدد لنا البناء الداخلي للمعجم القرآني ومن ثم صياغة رؤية قرآنية شاملة للعالم.

- وقد توصّل إلى أنّ القرآن الكريم يقوم على مجموعة من المتضادات الحيوية التي تخلق فيما الحركية والديناميكية لتبادل العلاقات فيما بينها، يكوّن كلّ واحد منها حقلا دلاليا مخصوصا، ويعدّ الله والإنسان والعلاقات المتبادلة بينهما من أوّل هذه المتضادات وأهمها.

ج. الحقل الدلالي:

- قدّمت الدراسة الدلالية، رؤية جديدة لمفهوم الحقل الدلالي قائمة على فكرة الربط بين الكلمات وتوزيعها داخل مجال مفهومي لتعبّر عن موضوع معيّن؛ فلم تعد الكلمات مفردة أو معزولة بحيث لا تربط بينها أيّة رابطة، فقط تحمل معناها المعجمي، بل تدخل في علاقات دلالية مع بعضها مشكّلة مجموعة متّحدة من خلالها يتحدّد معناها السياقي الدلالي،

- فهذه الكلمات "لا تكون موجودة هكذا ببساطة من دون أيّ نظام؛ على العكس من ذلك تؤلّف كلّا معقّدا جدّا ومنظّما تنظيما عاليا."

- هذا يعني أنّ نظرية الحقول الدّلالية هي الوجه الحقيقي لرؤية العالم، لأنّها المادة الأساسية التي من خلالها يتشكّل المعجم اللغوي،

د. المعجم ورؤية العالم:

- يتبنى الباحث وجهة النظر التي تجعل المعجم تعبير عن رؤية ثقافية للعالم، لأنّ الكلمات لا يوجد بعضها بعيد عن بعض، بل تتوزّع داخل الحقول الدلالية، حتى هذه الأخيرة لا توجد مستقلة، بل تترابط لتقدّم كلّا موحّدا من المفاهيم والمجالات الاجتماعية، هذا التعقيد العلاقي الدلالي والاتحاد المعجمي لمجموع الكلمات والحقول الدلالية، هو الذي يكشف لنا في النهاية عن الطريقة التي يتصوّر بها مجتمع لغوي معيّن وجوده وعالمه.

- فمن الممكن نظريا أن نعدّ المعجم القرآني حقلا دلاليا داخل كلّ أوسع هو معجم اللغة العربية العام، ومن زاوية أخرى يمكن عدّه نظاما خاصا يحتوي على مجموعة من الحقول الدلالية التي تعبّر عن الرؤية القرآنية للعالم، وفي هذه الحالة لا بدّ من المقارنة مع المعجم الجاهلي من أجل رصد التغيّرات التي حدثت لدلالات الكلمات، فلا ينبغي إغفال دور الاختلافات الفكرية في التوجيه الدلالي نحو الوعي بالرؤية للعالم الخاصة بثقافة معيّنة. كما هو موضح في الشكل الموالي:

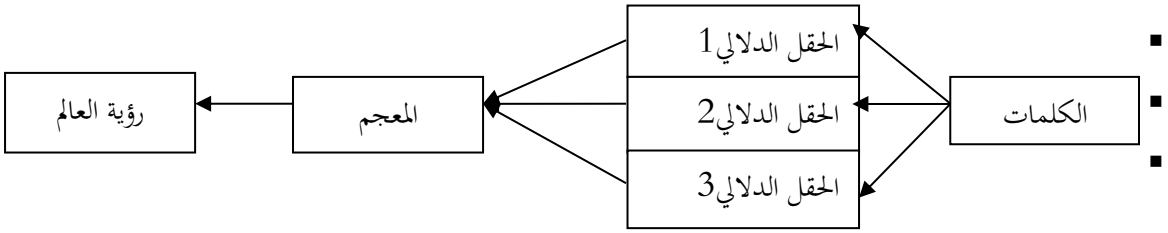
رؤية العالم
المعجم
الحقل الدلالي1
الحقل الدلالي2
الحقل الدلالي3
الكلمات